وجود إسرائيل وحتمية زوالها هو وعد من الله

عبدالرحمن الخطيب

الأسبوع الماضي انتهى العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة، وكتب وقيل في هذا العدوان ما لم يقله مالك في الخمر.

اللافت للنظر أن معظم الكتّاب والمتابعين يعتقدون بأن مثل تلك الاعتداءات الإسرائيلية مرتبط بصراع سياسي قحسب، أو يمكن أن يُختزل بمصالح سياسية. في الواقع هذا يعد فهماً قاصراً وأحكاماً مغلوطة، وبخاصة إذا علمنا أن إسرائيل استقبلت آلاف المتطوعين اليهود المتشددين من أنحاء العالم، للقتال في صفوفها، وإذا علمنا أن من يحكم إسرائيل هم المتشددون اليهود. ما يؤكد هذا الطرح ملاحظة ما عرضته القنوات الفضائية من لقطات لبعض الجنود الإسرائيليين وهم يرتدون غطاء شبيها بالعباءة فوق ملابسهم العسكرية من أعلى رؤوسهم إلى منتصف أجسادهم، يحملون في أيديهم كتابهم (التوراة)، يرتلون بصوت جهوري نصوصاً منه، وهم يهتزون بحركات سريعة إلى الأمام والخلف. ولإعطاء القارئ لمحة عما يتم قراءته، تخيرت بعضاً منه. ففي (سفر التثنية1/8) ورد: «ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم». وفي السفر ذاته 20/10-20 ورد: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإذا أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعوب الموجودة فيها تكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً كما أمرك الرب إلهك. وإذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محارباً إياها لكي تأخذها، فالشجر الذي تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه، فإياه تتلف وتقطع وتبني حصناً على المدينة التي تعمل معك حرباً حتى تسقط. وإذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل لا يعلم من قتله، يخرج شيوخك وقضاتك ويصرخون ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر».

وفي (سفر الخروج 23/29-31) ورد: « لا تطردهم من أمامك في سنة واحدة؛ لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. قليلاً اطردهم من أمامك إلى أن تملك الأرض. واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر».

إن المتأمل في هذه النصوص التوراتية يلحظ تطبيقها على أرض الواقع لما يحصل الآن في أرض فلسطين وعلى مدى السنوات الماضية. وإن شعبا متعصبا لعقيدته إلى هذا الحد لا يمكن أن يتنازل عن تعاليم دينه. وإن حكومة تعتمد على الحركات الدينية المتطرفة التي انتخبتها لا يمكن، في قراراتها العسكرية التي تتخذها، أن تمد يدها إلى السلام مهما تنازل لها العرب والمسلمون.

إذا أردنا الحديث عن الفكر اليهودي فإن له منبعين رئيسين لا ثالث لهما، هما: التوراة، والتلمود، والعديد من روافد هذا الفكر خرجت منهما مثل (بروتوكولات حكماء صهيون) لمانيو جولوفنسكي، وكتاب (الدولة اليهودية) لهيرتزل، وكتاب (الأمير) لميكافيلي. وعلى سبيل المثال، فقد استشهد مناحيم بيغن في كتابه (التمرد) بما ورد مرات عدة في (سفر التكوين)، حيث جاء: « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

لقد وعدنا -سبحانه وتعالى- بالنصر عليهم مهما طال الزمن، ووعده حق، في قوله تعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا). وحدد تعالى الزمن في قوله: (فإذا جاء وعد أولاهما). واللام في (لتفسدن) لام الاستقبال والتوكيد. واللام في (ولتعلون) مثلها أيضا. و(إذا) أداة ظرفية تدل على أن الأمر سيقع في المستقبل، ولا علاقته لما بعدها بما قبلها. أي أن الفساد والعلو ثم التدمير الأول آت وأنه لم يمر، كما أن استعمال (إذا) للمرة الثانية يدل على أنها آتية لم تمر كذلك.

يجدر بنا التأمل في هذه الآيات والاعتقاد اليقيني في تحقيق وعد الله في اليهود حين خاطبهم في قوله: (وجعلناكم أكثر نفيرا)؛ ولهذا أضحت إسرائيل من أعظم القوى العسكرية في العالم في هذا الأوان. وحتى يتحقق الفساد فإننا نرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفظع المذابح في النساء والأطفال والشيوخ بما لا يتصوره عقل. كيف لا؟ وهم أشد عداوة للمؤمنين؟ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود). وهنا تأتي عقوبة الله تعالى لهم على ما اقترفوه من الإثم والعدوان بتفسير من الآيات أن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها. فيقول الله تعالى: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا). وهنا يخبر الله عن زوال دولتهم، استعمل حرف (الفاء) للعطف مع التعقيب، ولم يستعمل (ثم) للعطف والتراخي. والتعقيب لكل شيء بحسبه وما يناسبه، وهو يدل على السرعة في حصول المقصود (فإذا جاء وعد الآخرة)، أي الذهاب لعلوهم الثاني، ببشرنا تعالى أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة. وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى دخولنا المسجد الأقصى مرتين. والمرتان كانتا بعد نزول الآية: الأولى، عند الفتح العُمَري للمسجد الأقصى، حين دخله باسم الله، وتحت راية لا إله إلا الله. والأخرى، هي التي، بإذن الله، ستكون قريبة، إذ سيدخل المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية. ثم يقرر الله أننا سنتبر، أي ندمر اليهود المغتصبين القتلة.

والآية الأخرى في وعد الله للمسلمين أتت في قوله تعالى: (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)، ولفيفا أي جماعات ملتفة، وهي طريقتهم في الهجرة إلى فلسطين. وهاهم قد تجمعوا من جميع أنحاء العالم في هذه الأرض.

في (صحيح البخاري) قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». والغرقد شجرة صغيرة كثيفة الأغصان يزرعها اليهود بأيديهم في شتى أنحاء أرض فلسطين.

من هنا يمكن القول: إن هذا الوعد لن يتحقق تحت رايات وعقائد منافية للإسلام، وتحت أسماء وأيديولوجيات مختلفة، وإنما سيكون جهاداً في سبيل الله، وتحت راية لا إله إلا الله، كما كان في زمن الرسول، صلى الله عليه وسلم. والدليل على هذا هزيمتنا أمامهم طوال هذه السنين. وإن المتأمل في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، خلال أكثر من ستة عقود، وفي الانقسام العربي والإسلامي بين هذه الدول حول قضية فلسطين، والذي يتجلى في هذا الأوان، والقارئ لبعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن هذا الموضوع، يلمس الإعجاز الإلهي في كتابه الحكيم.

عن «الحياة اللندنية»

«بوكو حرام» والخلافة الإسلامية .. التأثيرات الداخلية والإقليمية

علي بكر

يبدو أن منطقة غرب إفريقيا مقبلة على مرحلة جديدة من الصراع مع التنظيمات المتطرفة، والتي يمكن أن تمتد تداعياتها إلى مناطق أخرى من القارة الإفريقية، بعد تصاعد نشاط حركة «بوكو حرام» النيجيرية في الفترة الأخيرة. إذ أعلن زعيم الجماعة «أبوبكر شيكاو» عن قيام «دولة إسلامية» في البلدات والقرى التي استولت عليها في شمال شرقي نيجيريا، حيث صرح الرجل في مقطع فيديو مصور «نحن في دولة خلافة إسلامية، وليست لنا علاقة بنيجيريا، ونحن لا نؤمن بهذا الاسم».

ولم يذكر شيكاو ما إذا كانت الخلافة هي جزءا من دولة الخلافة التي أعلنها أخيراً تنظيم «الدولة الإسلامية» في أجزاء من العراق وسوريا، أم لا. وقد أثار هذا الصعود الكبير من قبل الجماعة الكثير من التساؤلات حول أسبابه، والعوامل التي أدت اليه، بعد كل الضربات التي وجهتها الحكومة النيجيرية لهذه الجماعة.

نشاط متصاعد:

اتسمت عمليات جماعة «بوكو حرام» ضد قوات الأمن النيجيري بالعنف، والتي كان آخرها العملية التي أدت إلى مقتل ما لا يقل عن 24 من رجال الأمن النيجيريين في 27 أغسطس 2014، أثناء الهجوم على قاعدة عسكرية نيجيرية تابعة للشرطة في بلدة بوني يادي الشمالية الشرقية. كما أدت الهجمات الشرسة للجماعة إلى فرار نحو 480 جنديا نيجيريا إلى دولة الكاميرون المجاورة، عقب قتال ضار مع الجماعة في 24 أغسطس 2014، خوفا من انتقام «بوكو حرام».

كانت عملية الجماعة باختطاف 276 فتاة من داخل مدرسة بولاية «بورنو» شمال شرق نيجيريا في 14 ابريل 2014، بهدف الضغط على الحكومة النيجيرية للإفراج عن بعض عناصرها، قد أثارت قلقا دوليا، بدا جليًا في انعقاد قمة «باريس للأمن في نيجيريا»، في مايو، بحضور رؤساء فرنسا، ونيجيريا، وتشاد، والنيجر، والكاميرون، وبنين، وبمشاركة وزير الخارجية البريطاني، ومساعدة وزير الخارجية الأمريكي، وممثل عن الاتحاد الأوروبي.

بوكو حرام .. «القاعدة بملامح أفريقية»:

منذ نشأتها في أواخر التسعينيات، أثارت جماعة «بوكو حرام» جدلا كبيرً ، بسبب أفكارها المتشددة، التي وصلت إلى تحريم التعليم، إضافة إلى مصادر تمويلها المجهولة. و«بوكو حرام» هي جماعة إسلامية نيجيرية مسلحة، وتعني بوكو حرام بلغة الهاوسا (تحريم التعليم الغربي). وقد تأسست الجماعة عام 2004 على يد رجل يدعى محمد يوسف، وتشكلت في الأصل من مجموعة من الطلاب قد تخلوا عن الدراسة. وقد أقامت الجماعة قاعدة لها في قرية كاناما بولاية يوبه شمال شرقي نيجيريا على الحدود مع النيجر في ذلك الوقت.

وتهدف الجماعة إلى تأسيس دولة إسلامية في نيجيريا بالقوة المسلحة من خلال التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية في جميع الولايات النيجيرية، وليس تطبيق الشريعة في الـ 12 ولاية الشمالية. وتعتقد الجماعة بعدم جواز العمل في الأجهزة الأمنية والحكومية في الدولة، وترفض بشدة التعليم الغربي والثقافة الغربية.

وتعد جماعة «بوكو حرام» أحد «نماذج القاعدة» التي انتشرت أخيرا في القارة الافريقية، خاصة في منطقة شمال إفريقيا، مثل جماعة «التوحيد والجهاد»، و «حركة شباب المجاهدين». وقد ألحقت الجماعة نفسها بالقاعدة من خلال بيان أصدرته، عقب مقتل مؤسسها محمد يوسف 2009، مما أثار المخاوف في ذلك التوقيت من انتشار نماذج القاعدة في منطقة وسط إفريقيا، التي تعاني أصلا الكثير من الصراعات الدينية، والعرقية، والطائفية، مما قد يهدد العديد من الأنظمة السياسية في تلك المنطقة.

عوامل تصاعد نشاط بوكو حرام:

أثارت جماعة بوكو حرام جدلاً واسعاً داخل نيجيريا وخارجها، ليس فقط بسبب أفكارها المتشددة، بل أيضا بسبب عملياتها الضخمة والواسعة، وقدرتها على فرض سيطرتها على العديد من القرى والمناطق، رغم المحاولات المضنية من الجيش النيجيري لتحجيم هذه الجماعة، والقضاء عليها، حتى أصبحت الجماعة تمثل صداعا مزمناً في رأس الحكومة النيجيرية.

وقد فسرت اتجاهات عديدة نجاح الحركة في استيعاب الضربات المتتالية التي وجهتها الحكومة النيجيرية لقواعدها، ورغم ذلك عادت إلى ممارسة نشاطها بصورة أقوى من السابق، في ضوء عدة اعتبارات، من أهمها:

– «الموجة الجهادية» التي انطلقت عقب الثورات العربية، والتي لعبت دورا مهما في عودة نشاط «بوكو حرام» إلى الساحة بقوة، لأنها منحت جماعة «بوكو حرام» قبلة الحياة، حيث إن الجماعة كانت في حالة تراجع مستمر أمام ضربات الجيش النيجيري، ولكن مع حالة النشاط الجهادي التي بدأت في شمال إفريقيا، والتي أخذت تداعياتها وارتداداتها تمتد إلى منطقة غرب إفريقيا- شجعت هذه الحالة رجال «بوكو حرام» على إعادة ترتيب صفوفهم من جديد، والعودة إلى مزاولة نشاطهم من جديد.

وقد ساعدهم في ذلك تحقيق التنظيمات الجهادية في شمال إفريقيا تقدما كبيرا على الأرض بسيطرتهم على شمال مالي، وإقامة إمارة إسلامية هناك في ذلك التوقيت، وهذا ما أعطى الجماعة دفعة قوية لتكرار التجربة نفسها في نيجيريا.

– «شبكة العلاقات الجهادية»، حيث نجحت جماعة «بوكو حرام» في إقامة شبكة علاقات قوية مع التنظيمات القاعدية في شمال إفريقيا، خاصة مع تنظيم «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي»، من خلال إرسال الجماعة لعدد من مقاتليها للمشاركة في القتال في شمال مالي إلى جانب التنظيم، وهذا ما أسهم في نسج شبكة علاقات بين «التنظيمات القاعدية» وشقيقتها «بوكو حرام»، ساعدت الجماعة في الحصول على التمويل الجيد والسلاح. وتشير بعض المؤشرات في هذا الخصوص إلى أن تنظيم «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» مد الجماعة بكميات من الأسلحة نقلت إليه من ليبيا، عبر دول الجوار، خاصة النيجر وتشاد.

– «السياسات الحكومية الخاطئة»، لعبت دوراً مهما في عودة نشاط جماعة «بوكو حرام»، حيث أدى استخدام الحكومة النيجيرية للعنف المفرط تجاه جماعة بوكو حرام، إلى كسب الجماعة للعديد من الأنصار تعاطفا معها، بسبب عمليات القتل البشعة، والخارجة على القانون، والتي ارتكبتها الشرطة النيجيرية بحق أعضاء جماعة بوكو حرام، مما خلق نوعا من التعاطف تجاه الجماعة، وتقديم يد العون والمساندة لها.

– «البعد الديني والعرقي»، حيث يمثل هذا البعد دوراً مهما في تنامي جماعة بوكو حرام، وانتشارها بصورة واضحة، واعتناق أعداد من الشباب المسلمين لأفكارها، خاصة في ظل الاشتباكات الدينية والعرقية في نيجيريا، حيث تطرح جماعة بوكو حرام نفسها كمدافع عن الإسلام والمسلمين ضد المسيحيين، مما خلق نوعا من التعاطف من البسطاء المسلمين، سرعان ما يترجم إلى تقديم المساعدة، أو حتى الانخراط في الجماعة.

تداعيات تصاعد «بوكو حرام»:

أثار تصاعد نشاط جماعة «بوكو حرام» النيجيرية، في الفترة الأخيرة، قلق الكثيرين، وعلى رأسهم الحكومة النيجيرية، ودول الجوار، إضافة إلى الدول صاحبة المصالح الاقتصادية والنفطية في نيجيريا. لذلك، يرى البعض أن النشاط المتصاعد للجماعة سوف يكون له عدد من التداعيات على عدة مستويات:

فبالنسبة للتيارات الجهادية، فإن تصاعد نشاط «بوكو حرام» بهذه الصورة، وبما تحمله الجماعة من أفكار جهادية، ينذر بعملية انتشار للتيارات الجهادية في المنطقة في الفترة المقبلة، خاصة أن هناك تقارير عن الأمم المتحدة تشير إلى أن حركة «بوكو حرام» تعزز صلاتها بـ«القاعدة» وغيرها من الحركات المتشددة في غرب إفريقيا، مما يمكن أن يشكل تهديدا واضحا للأنظمة السياسية بالمنطقة.

يأتي ذلك في ظل حالة التمدد الجهادي والقاعدي في دول غرب ووسط إفريقيا، بعد دخول القوات الفرنسية إلى شمال مالي، وخلق حالة من التشتت الجهادي في المنطقة، وأيضا في ظل رغبة التيارات الجهادية في إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة، تعويضاً لها عن خسارة معقلها في شمال مالي. لذلك، فإن النشاط المتصاعد لجماعة «بوكو حرام» من المحتمل أن يؤدي إلى وجود قوى للتنظيمات القاعدية في تلك المنطقة.

وبالنسبة للأوضاع الداخلية في نيجيريا، فإن تصاعد نشاط الجماعة سيؤدي إلى مزيد من أعمال العنف على الساحة الداخلية. فبمجرد إعلان رئيس الأركان النيجيري إنشاء فرقة خاصة لمحاربة بوكو حرام، بالتعاون مع أجهزة الأمن في ديسمبر 2013، ردت الجماعة بعملية كبرى استهدفت الكنائس خلال صلوات عيد الميلاد، فضلا عن انفجار خارج العاصمة، أسفر عن مقتل 35 شخصا على الأقل. كما أنه منذ عيد الميلاد الماضي 2014، قامت الجماعة بـ ست هجمات ضد المسيحيين، أسفرت عن أكثر من 80 قتيلا، وهذا ما قد يدفع البلاد باتجاه الحرب الأهلية، خاصة أن الجماعة ترى أن هناك جهات مسيحية تبشيرية تشكل خطرا على المسلمين، مما يجعلها تنفذ العديد من الهجمات ضد المسيحيين.

وأما بالنسبة للأوضاع الإقليمية، فيلاحظ أن انتشار هجمات بوكو حرام، وتركيزها في الآونة الأخيرة على المناطق الحدودية مع دول الجوار، أثار حالة من الفزع لدى هذه الدول، حيث إن بروز الحركة بهذه القوة يحمل مضامين سلبية عدة في حق هذه الدول، منها انتشار السلاح في أراضيها، وانتقاله إلى الحركة عبر حدود هذه الدول، كما يمكن – في ظل الحدود المخترقة – أن تقوم الجماعة بالتنسيق مع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب العربي، وهو ما يمثل تهديدا مباشرا لكل دول الجوار.

وأخيرا، فإن النشاط المتصاعد لجماعة «بوكو حرام» يمكن أن يخلق أزمة اقتصادية على المستوى الدولي، خاصة للدول المستهلكة للنفط النيجيري، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إن قطاع النفط دائما ما يمثل الهدف المفضل للتنظيمات الجهادية، لا سيما أن الأوضاع في دلتا النيجر الغنية بالنفط لا تزال مضطربة، مما يمكن أن يسهل مهمة جماعة «بوكو حرام»، إذا أرادت أن تستخدم ورقة النفط في صراعها الحالي مع الحكومة النيجيرية.

عن مجلة «السياسة الدولية»